

كنا في البحث السابق قد ختمنا الكلام في قوله تبارك: ﴿هَذَا خَلَقَ اللَّهُ فَأَرْوْنِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾¹ قبل أن ندخل في الآية الجديدة فقط أشير إلى أن هذه الآية المباركة لها نظير في سورة فاطر، وهي قوله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمْ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرْوْنِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْهُ بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورٌ﴾² أيضاً هذه الآية تشير إلى النكات التي ذكرناها في آية سورة لقمان، فهي في مقام التحدي، وفي مقام الحط من قدر المشركين أمام الآيات الباهرة في صفحة الكون، فوصفتهم بما وصفت به هذه الآية المشركين.

الآية الجديدة، وهي الآية الثانية عشر، يقول تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾³ نقف مع هذه الآية المباركة عدة وقفات: الوقفة الأولى: في ارتباط هذا المقطع بالمقطع السابق، اختلفت آراء المفسرين بين قائل بعدم الارتباط وبين قائل بالارتباط، والذين قالوا بالارتباط أيضاً اختلفوا في كيفية توجيه هذا الارتباط.

القول الأول: واضح جداً أن الذين قالوا بعدم الارتباط جعلوا الواو هذه الآية ولقد، جعلوها استئنافية، ويكون الحديث في شيء جديد لا يرتبط بما تقدم، وسهلوا الأمر على أنفسهم في توجيه هذا الارتباط. القول الثاني: الذين قالوا بالارتباط، الفخر الرازي في كبره من أنصار القائلين بالارتباط، ووجه الارتباط بالشكل التالي، وهو أنه في المقطع الأول وفي ذيل المقطع الأول نرى أن الله سبحانه وتعالى

¹ لقمان 11

² فاطر 40

³ لقمان 12

بين لنا فساد اعتقاد المشركين، وأنهم بسبب عنادهم بإشراك من لا يخلق شيئاً بمن خلق شيئاً، ورد عليهم بقوله: ﴿هَذَا خَلَقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾⁴ وبين أن المشرك ظالم وضلاله مبين، بعد أن بين هذا الشيء، فإذن نحتاج في جانب آخر ما يقابل الضلال المبين، وليس هو إلا الحكمة، فجاءت الآية لتقول: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾ فأولئك ضلالهم المبين لكونه على خلاف مقتضى الحكمة، فهذا يعني أن الحكمة تقتضي التوحيد وعدم الشرك.

أما العلامة الطباطبائي رحمة الله عليه في تفسير الميزان فهو يوجه ويرر بتبرير آخر، يقول في الصفحة الأولى جاء الحديث عن فئة من الناس يشتررون لهو الحديث، وبيننا هناك أن وجه النزول أن جماعة من قريش كانوا يذهبون إلى بلاد فارس وإلى بلاد الروم ويشتررون قصص الأساطير حتى يلهوا الناس ويصدوهم عن آيات القرآن الحكيم، فلما كان الحديث في هذا المقلب عن هكذا نوع من القصص قابله في هذا المقلب بقصة واقعية حقيقية فيها عبرة وفائدة وتنسجم مع القرآن الكريم، فجاء بقصة لقمان وبوصية لقمان لابنه.

كما تلاحظون أنه في كلا التبريرين، كل واحد منهما أخذ شيئاً معيناً في المقلب الأول وحاول أن يجعل المقلب منسجماً معه، بينما إذا أردنا أن نبرر تبريراً صحيحاً لا بد من إيجاد الانسجام بين مجموع ما يوجد في المقلبين وفي الصفحتين، وإلا كنا نستطيع أن نقول هكذا، أنه في الصفحة الأولى يوجد: ﴿الم (1) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾⁴ وفي هذه الصفحة نتكلم عن لقمان الحكيم، إذن يوجد ارتباط، لا معنى له أن نأخذ شيئاً من المقطع الأول ونربطه بشيء من المقطع الثاني، هذا لا يكفي في توجيه الانسجام والارتباط بين المقطعين.

الصحيح أن يقال: إن هذه الصفحة وهذه الآية وإن كانت هي بداية مقطع جديد، لكن هذا المقطع ينسجم تمام الانسجام مع المقطع السابق، في المقطع السابق هناك شيء أساسي ركزنا عليه سابقاً، وهي المقارنة بين فئتين من الناس، فئة تدرج تحت أهل التوحيد والإحسان والإيمان، وفئة تدرج تحت أهل الشرك والظلم والضلال، وقارن بينهما، ورد على الشرك والضلال عن طريق إثبات التوحيد وعدم الشرك من خلال التأمل في صفحة الكون، مع الآيات الأربع التي ذكرها في الآية العاشرة ﴿خَلَقَ

السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرْوُنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠١﴾ وبعبارة أخرى هناك جولتان لإبطال الشرك:

الجولة الأولى: من خلال النظر في صفحة التكوين، فإن آيات الله الباهرة في تلك الصفحة تنادي بأعلى صوتها بالتوحيد.

الجولة الثانية: من خلال نفوس آدمية، من خلال نصيحة لقمان لابنه نفى الشرك وأثبت التوحيد.

ففي الواقع ما زال الكلام في سياق واحد، في سياق تفضيل فئة أهل الإحسان لإيمانهم وتوحيدهم على فئة الذين يشتركون لهو الحديث في ضلالهم وشركهم، ما زال الحديث عن هذا، لكن في الأول أثبت التفضيل من خلال النظر في صفحة الوجود وفي صفحة الكون، والثانية من خلال نفوس آدمية، من خلال نصيحة حكيم لابنه؛ لأنه كما سوف يأتي الآيات والنصيحة العمدة فيها تتكلم عن التوحيد ونفي الشرك. فإذاً هناك جولتان، الجولة الأولى في الصفحة الأولى الكلام فيها في آيات صفحة التكوين، والجولة الثانية في الصفحة الكلام فيها من خلال التربية والتهذيب، أي: من خلال النفوس الآدمية، من خلال الوعظ والإرشاد. فإذاً بين الصفحتين يوجد كمال الانسجام.

الوقف الثانية: اتضح لدينا بأن هذه الصفحة الحديث فيها عن نصيحة وموعظة يقدمها شخص إلى آخر، وصية لقمان لابنه، كما أن الباري سبحانه وتعالى في الجولة الأولى أعطى جملة من المؤثرات النفسانية، والتي أشرت إلى بعضها من خلال شرح الآيات المتقدمة، هنا أيضاً يوجد مؤثرات نفسانية في غاية الأهمية، وأن نلاحظ أن المؤثرات النفسانية الموجودة في هذه الآيات استعملها أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته لابنه. نعم، النصيحة على نوعين، هناك نصيحة تجر نفعاً إلى الناصح، هكذا نصيحة لا تكون خالية عن الشوائب والعيوب، والنصيحة الأخرى، هي النصيحة التي يراد بها مجرد النصح ونفع المستنصح، ولا يكون الغرض منها جر النفع إلى الناصح. فلكي تكون النصيحة مؤثرة لا بد أن تكون من النوع الثاني، فالنصيحة والوصية هي نصيحة ووصية صادرة من حكيم، لذا الآية تقول: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾ هذه مقدمة كمؤثر نفسي لهذه النصيحة، المؤثر الآخر أنها صادرة من أب شفيق إلى ابنه.

لذا نلاحظ أن أمير المؤمنين عليه أفضل الصلاة والسلام في وصيته لابنه الحسن هكذا في مطلعها يقول: من الوالد -أكد على هذا، أن الوالد يكون شقيقاً على ولده، فتكون هذه النصيحة لمصلحة الولد- الفان المقر للزمان، المدبر العمر، المستسلم للدهر، الدام للدنيا، الساكن مساكن الموتى، الطاعن عنها غدا إلخ. إذن لا مصلحة له تعود عليه شخصياً في نصحه. والمؤثر الثاني: وجدتكم بعضي بل وجدتكم كلي حتى كأن شيئاً لو أصابكم أصابني. هذه النصيحة صادرة مع كمال الشفقة والرحمة، هذا المؤثر النفساني أشير إليه في هذه الآية المباركة.

الوقفه الثالثة: لقمان هذا الذي اختاره القرآن ليعرض بلسانه قصة التوحيد ونفي الشرك، اختلفت أقوال العلماء فيه، بل وكذلك في جملة من الروايات يوجد اختلاف، فبين قائل أنه كان من الأنبياء وآخر يقول ليس من الأنبياء، ولعل هذا القول الثاني هو قول المشهور، أن لقمان الحكيم لم يكن نبياً. وبين قائل إنه كان عبداً حبشياً، وجماعة آخرون قالوا كان عبد نوبياً، الحبشة وبلاد النوبة وإن كان بينهما تقارب ربما في الحدود، لكن كل واحد له طبيعته الخاصة به. وجماعة قالوا إنه كان من بني إسرائيل، وكان قاضياً من قضاتهم. نعم، في بعض الروايات ورد أن لقمان الحكيم كان يفتي الناس، إلى أن بعث الله وتعالى داوود عليه أفضل الصلاة والسلام، فتوقف عن الفتوى، فقيل له لماذا توقفت؟ فقال قد كفاني الله سبحانه وتعالى. هذه عبرة ودرس يؤخذ من لقمان. على كل تقدير كل هذه الأمور التي وقع الخلاف فيها لا يقدم ولا يؤخر في فهم قصة لقمان في المقام.

ما نستفيدة من روايات أئمة أهل البيت عليهم أفضل الصلاة والسلام أن لقمان الحكيم لم يكن نبياً، وعاش مدة طويلة الزمن، وعاصر جمعاً كبيراً من الأنبياء، واكتسب منهم، وكان مشهوراً بالحكم وبالمواعظ المؤثرة، وهذا يتناسب مع ما ذكر حوله في القرآن الكريم، والذي ينحصر في سورة لقمان، ما عندنا ذكر للقمان في سور أخرى غير هذه السورة.

في تفسير علي بن إبراهيم -ونقل أجزاء من هذه الرواية في كتب أخرى أيضاً- بسند لا بأس به، حدثني أبي عن القاسم بن محمد عن سليمان بن داود المنقري عن حماد قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن لقمان وحكمته التي ذكرها الله عز وجل فقال أما والله ما أوتي لقمان الحكمة بحسب ولا

مال ولا أهل ولا بسط في جسم ولا جمال ولكنه كان رجلاً قوياً في امر الله (إلى أن قال) ولم يمر
برجلين يختصمان أو يقتلان إلا أصلح بينهما ولم يمض عنهما حتى يحابا.⁵

⁵ جامع أحاديث الشيعة ج 23 ص 890 وهي رواية طويلة أنقلها من تفسير علي بن إبراهيم تفسير القمي، ج 2، ص: 161: فَإِنَّهُ حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ الْمُنْقَرِيِّ عَنْ حَمَّادٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَ عَنْ لُقْمَانَ وَحِكْمَتِهِ الَّتِي ذَكَرَهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَقَالَ: أَمَّا وَ اللَّهِ مَا أُوتِيَ لُقْمَانَ الْحِكْمَةُ بِحَسَبٍ وَ لَا مَالٍ وَ لَا أَهْلٍ وَ لَا بَسْطٍ فِي جِسْمٍ وَ لَا جَمَالٍ وَ لَكِنَّهُ كَانَ رَجُلًا قَوِيًّا فِي أَمْرِ اللَّهِ مُتَوَرِّعًا فِي اللَّهِ سَاكِنًا سَكِينًا عَمِيقَ النَّظَرِ طَوِيلَ الْفِكْرِ حَدِيدَ النَّظَرِ مُسْتَعْبِرًا بِالْعَبَرِ لَمْ يَنْمِ نَهَارًا قَطُّ وَ لَمْ يَزِدْ أَجْدَ مِنَ النَّاسِ عَلَى بَوْلٍ وَ لَا غَائِطٍ وَ لَا اغْتِسَالٍ لَشِدَّةِ تَشَرُّهِ وَ عُمُقِ نَظَرِهِ وَ تَحَفُّظِهِ فِي أَمْرِهِ وَ لَمْ يَضْحَكْ مِنْ شَيْءٍ قَطُّ مَخَافَةَ الْإِثْمِ، وَ لَمْ يَغْضَبْ قَطُّ وَ لَمْ يُمَارِضْ إِنْسَانًا قَطُّ وَ لَمْ يَفْرَحْ بِشَيْءٍ إِنْ آتَاهُ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَ لَا حَزَنَ مِنْهَا عَلَى شَيْءٍ قَطُّ، وَ قَدْ نَكَحَ مِنَ النِّسَاءِ وَ وُلِدَ لَهُ مِنَ الْأَوْلَادِ الْكَثِيرَةِ وَ قَدَّمَ أَكْثَرَهُمْ أَفْرَاطًا، فَمَا بَكَى عَلَى مَوْتِ أَحَدٍ مِنْهُمْ، وَ لَمْ يَمُرَّ بِرَجُلَيْنِ يَخْتَصِمَانِ أَوْ يَقْتُلَانِ إِلَّا أَصْلَحَ بَيْنَهُمَا وَ لَمْ يَمُضْ عَنْهُمَا حَتَّى يُحَابَا، وَ لَمْ يَسْمَعْ قَوْلًا قَطُّ مِنْ أَحَدٍ اسْتَحْسَنَهُ إِلَّا سَأَلَ عَنْ تَفْسِيرِهِ وَ عَمَّنْ أَخَذَهُ، وَ كَانَ يُكْثِرُ مُجَاسَلَةَ الْفُقَهَاءِ وَ الْحُكَمَاءِ، وَ كَانَ يَغْشَى الْقَضَاةَ وَ الْمُلُوكَ وَ السَّلَاطِينَ، فَيُرِثِي لِلْقَضَاةِ مَا ابْتُلُوا بِهِ وَ يَرْحَمُ لِلْمُلُوكِ وَ السَّلَاطِينِ لِعِزَّتِهِمْ بِاللَّهِ وَ طُمَأْنِينَتِهِمْ فِي ذَلِكَ وَ يَتَعَبَّرُ وَ يَتَعَلَّمُ مَا يَغْلِبُ بِهِ نَفْسَهُ وَ يُجَاهِزُ بِهِ هَوَاهُ وَ يَخْتَرُّ بِهِ مِنَ الشَّيْطَانِ فَكَانَ يُدَاوِي قَلْبَهُ بِالْفِكْرِ وَ يُدَاوِي نَفْسَهُ بِالْعِبَرِ وَ كَانَ لَا يَطْعُنُ إِلَّا فِيمَا يَنْفَعُهُ فَبِذَلِكَ أُوتِيَ الْحِكْمَةَ وَ مُنِحَ الْعِصْمَةَ، فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى أَمَرَ طَوَائِفَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ جِبْنَ النَّصِيفِ النَّهَارِ وَ هَذَاتِ الْعُيُونِ بِالْقَابِلَةِ فَتَدَاوَى لُقْمَانَ حَبِثُ يَسْمَعُ وَ لَا يَرَاهُمْ فَقَالُوا: يَا لُقْمَانَ هَلْ لَكَ أَنْ يَجْعَلَكَ اللَّهُ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ تَحْكُمُ بَيْنَ النَّاسِ فَقَالَ لُقْمَانُ: إِنْ أَمَرَنِي اللَّهُ بِذَلِكَ فَالْسَّمْعُ وَ الطَّاعَةُ لِأَنَّهُ إِنْ فَعَلَ بِي ذَلِكَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ وَ عَلَّمَنِي وَ عَصَمَنِي وَ إِنْ هُوَ خَبَّرَنِي قَبِلْتُ الْعَافِيَةَ فَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا لُقْمَانَ لِمَ قُلْتَ ذَلِكَ قَالَ: لِأَنَّ الْحُكْمَ بَيْنَ النَّاسِ مِنْ أَشَدِّ الْمَنَازِلِ مِنَ الدِّينِ وَ أَكْثَرُهَا فِتْنًا وَ بَلَاءً مَا يُخْذَلُ وَ لَا يُعَانُ وَ يَغْشَاهُ الظُّلْمُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَ صَاحِبُهُ فِيهِ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِنْ أَصَابَ فِيهِ الْحَقُّ قِبَالَ الْحَرِيِّ أَنْ يَسْلَمَ وَ إِنْ أَخْطَأَ أَخْطَأَ طَرِيقَ الْجَنَّةِ وَ مَنْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا ذَلِيلًا وَ ضَعِيفًا كَانَ أَهْوَنَ عَلَيْهِ فِي الْمَعَادِ أَنْ يَكُونَ فِيهِ حَكَمًا سَرِيًّا شَرِيفًا وَ مَنْ اخْتَارَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ يَخْسِرُ هُمَا كَلْتَهُمَا تَزُولُ هَذِهِ وَ لَا تَذُرُكَ تِلْكَ، قَالَ فَتَعَجَّبَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ حِكْمَتِهِ وَ اسْتَحْسَنَ الرَّحْمَنُ مَنْطِقَهُ، فَلَمَّا أَمْسَى وَ أَخَذَ مَضْجَعَهُ مِنَ اللَّيْلِ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْحِكْمَةَ فَعَشَاهُ بِهَا مِنْ قَرْنِهِ إِلَى قَدَمِهِ وَ هُوَ نَائِمٌ وَ غَطَاهُ بِالْحِكْمَةِ غِطَاءً فَاسْتَبْقَطَ وَ هُوَ أَحْكَمُ النَّاسِ فِي زَمَانِهِ، وَ خَرَجَ عَلَى النَّاسِ يَنْطِقُ بِالْحِكْمَةِ وَ يُبَيِّنُهَا فِيهَا.

قَالَ: فَلَمَّا أُوتِيَ الْحُكْمَ بِالْخِلَافَةِ وَ لَمْ يَقْبَلْهَا أَمَرَ اللَّهُ الْمَلَائِكَةَ فَتَادَتْ دَاوُدَ بِالْخِلَافَةِ فَقَبِلَهَا وَ لَمْ يَشْتَرِطْ فِيهَا بِشَرْطٍ لُقْمَانَ فَأَعْطَاهُ اللَّهُ الْخِلَافَةَ فِي الْأَرْضِ وَ ابْتَلَى فِيهَا غَيْرَ مَرَّةٍ وَ كُلَّ ذَلِكَ يَهْوِي فِي الْخَطَا يَقْبَلُهُ اللَّهُ وَ يَغْفِرُ لَهُ، وَ كَانَ لُقْمَانُ يُكْثِرُ زِيَارَةَ دَاوُدَ عَ وَ يَعْطُهُ بِمَوَاعِظِهِ وَ حِكْمَتِهِ وَ فَضْلِ عِلْمِهِ وَ كَانَ دَاوُدُ يَقُولُ لَهُ: طُوبَى لَكَ يَا لُقْمَانَ أُوتِيتَ الْحِكْمَةَ وَ صُرِفَتْ عَنْكَ الْبَلِيَّةُ وَ أُعْطِيَ دَاوُدُ الْخِلَافَةَ وَ ابْتَلَى بِالْحُكْمِ وَ الْفِتْنَةِ. ثُمَّ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ع: «وَ إِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَ هُوَ يَعْطُهُ يَا بُنَيَّ لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ إِنْ شَرَكَ لَطَلُمُ عَظِيمٌ» قَالَ فَوَعظَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ بِآثَارِ حَتَّى تَقَطَّرَ وَ انْشَقَّ وَ كَانَ فِيهَا وَعْظُهُ بِهِ يَا حَمَادُ! أَنْ قَالَ: يَا بُنَيَّ إِنَّكَ مُنْذُ سَقَطْتَ إِلَى الدُّنْيَا اسْتَدْبَرْتَهَا وَ اسْتَقْبَلْتَ الْآخِرَةَ فَدَارَ أَنْتَ إِلَيْهَا تَسِيرُ أَقْرَبَ إِلَيْكَ مِنْ دَارِ أَنْتَ عَنْهَا مُتَبَاعِدٌ، يَا بُنَيَّ جَالِسِ الْعُلَمَاءَ وَ رَاجِعْهُمْ بِرُكْبَتِكَ لَا تُجَادِلْهُمْ فَيَمْنَعُوكَ وَ خُذْ مِنَ الدُّنْيَا بَلَاءً وَ لَا تَرَفُّضْهَا فَتَكُونَ عِيَالًا عَلَى النَّاسِ وَ لَا تَدْخُلْ فِيهَا دُخُولًا يُضِرُّ بِأَجْرَتِكَ وَ صُمْ صَوْمًا يَقْطَعُ شَهْوَتَكَ وَ لَا تَصُمْ صَوْمًا يَمْنَعُكَ مِنَ الصَّلَاةِ فَإِنَّ الصَّلَاةَ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الصِّيَامِ، يَا بُنَيَّ إِنْ الدُّنْيَا بَخَرٌ عَمِيقٌ قَدْ هَلَكَ فِيهَا عَالَمٌ كَثِيرٌ فَاجْعَلْ سَفِينَتَكَ فِيهَا الْإِيمَانَ وَ اجْعَلْ شِرَاعَهَا التَّوَكُّلَ وَ اجْعَلْ رَاكِبَهَا تَقْوَى اللَّهِ، فَإِنْ تَجَوَّزْتَ فَبِرَحْمَةِ اللَّهِ وَ إِنْ هَلَكْتَ فَبِذُنُوبِكَ يَا بُنَيَّ إِنْ تَأَدَّبْتَ صَغِيرًا انْتَفَعْتَ بِهِ كَبِيرًا، وَ مَنْ غَنِيَ بِالْأَدَبِ اهْتَمَّ بِهِ وَ مَنْ اهْتَمَّ بِهِ تَكَفَّلَ عِلْمُهُ وَ مَنْ تَكَفَّلَ عِلْمُهُ اشْتَدَّ طَلِبُهُ وَ مَنْ اشْتَدَّ طَلِبُهُ أَذْرَكَ مَنْفَعَتُهُ فَاتَّخِذْهُ عَادَةً فَإِنَّكَ تَخْلُقُ فِي سَلَفِكَ وَ تَتَفَعَّلُ بِهِ مِنْ خَلْفِكَ وَ يَرْجِيكَ فِيهِ رَاغِبٌ وَ يَحْشَى صَوْلَتَكَ زَاهِبٌ وَ إِيَّاكَ وَ الْكَسَلَ عَنْهُ وَ الطَّلَبَ لغيرِهِ فَإِنْ غَلِبَتْ عَلَى الدُّنْيَا فَلَا تَغْلِبَنَّ عَلَى الْآخِرَةِ وَ إِذَا فَاتَكَ طَلَبُ الْعِلْمِ فِي مَطَارِهِ فَقَدْ غَلِبَتْ عَلَى الْآخِرَةِ وَ اجْعَلْ فِي أَيَّامِكَ وَ لَيَالِيكَ وَ سَاعَاتِكَ لِنَفْسِكَ نَصِيبًا فِي طَلَبِ الْعِلْمِ فَإِنَّكَ لَنْ تَجِدَ لَهُ تَضْيِيعًا أَشَدَّ مِنْ تَرْكِهِ، وَ لَا ثَمَارَيْنِ فِيهِ لُجُوجًا وَ لَا تُجَادِلَنَّ فِقْهِيًّا وَ لَا تُعَادِيَنَّ سُلْطَانًا، وَ لَا تُشَاقِبَنَّ ظُلُمًا، وَ لَا تُصَاحِبَنَّه فَاسِقًا نَظْفًا وَ لَا تُصَاحِبَنَّ مِنْهُمْ، وَ اخْزَنْ عِلْمَكَ كَمَا تُخْزِنُ وَرَقَكَ، يَا بُنَيَّ خَفِ اللَّهُ خَوْفًا لَوْ أَتَيْتَ الْقِيَامَةَ بِبِرِّ النَّفْلَيْنِ خِفْتَ أَنْ يُعَذِّبَكَ وَ ارْجِ اللَّهَ رَجَاءً لَوْ وَافَيْتَ الْقِيَامَةَ بِإِثْمِ النَّفْلَيْنِ رَجَوْتَ أَنْ يَغْفِرَ لَكَ.

فَقَالَ لَهُ ابْنُهُ يَا أَبَتِ وَ كَيْفَ أَطِيقُ هَذَا وَ إِنَّمَا لِي قَلْبٌ وَاحِدٌ فَقَالَ لَهُ لُقْمَانُ يَا بُنَيَّ لَوْ اسْتَخْرَجَ قَلْبُ الْمُؤْمِنِ فُشِقَ لَوَجَدَ فِيهِ نُورَيْنِ نُورًا لِلْخَوْفِ وَ نُورًا لِلرَّجَاءِ لَوْ وَرْنَا لَمَّا رَجَحَ أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرِ بِمِثْقَالِ ذَرَّةٍ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ يُصَدِّقُ مَا قَالَ اللَّهُ وَ مَنْ يُصَدِّقُ مَا قَالَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا أَمَرَ اللَّهُ وَ مَنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا أَمَرَ اللَّهُ لَمْ يُصَدِّقْ مَا قَالَ اللَّهُ فَإِنَّ هَذِهِ الْأَخْلَاقَ تَشْهَدُ بَعْضُهَا لِبَعْضٍ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ إِيمَانًا صَادِقًا يَعْمَلُ اللَّهُ خَالِصًا نَاصِحًا وَ مَنْ عَمِلَ اللَّهُ خَالِصًا نَاصِحًا فَقَدْ آمَنَ بِاللَّهِ صَادِقًا وَ مَنْ أَطَاعَ اللَّهَ خَافَهُ وَ مَنْ خَافَهُ فَقَدْ أَحَبَّهُ وَ مَنْ أَحَبَّهُ اتَّبَعَ أَمْرَهُ وَ مَنْ اتَّبَعَ أَمْرَهُ اسْتَوْجَبَ جَنَّتُهُ وَ مَرْضَاتُهُ وَ مَنْ لَمْ يَتَّبِعْ رِضْوَانَ اللَّهِ فَقَدْ هَانَ عَلَيْهِ سَخَطُهُ نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ، يَا بُنَيَّ! لَا تَرْكُنْ إِلَى الدُّنْيَا وَ لَا تَشْغَلْ قَلْبَكَ بِهَا فَمَا خَلَقَ اللَّهُ خَلْقًا هُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ مِنْهَا أَلَا تَرَى أَنَّهُ لَمْ يَجْعَلْ نَعِيمَهَا ثَوَابًا لِلْمُطِيعِينَ وَ لَمْ يَجْعَلْ بَلَاءَهَا غُفُورَةً لِلْعَاصِينَ.